

الأخلاق في المنظومة التربوية - الجزائر نموذجا -

Ethics in educational system - Algeria as a sample -

د. جازولي نادية¹

¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر). djaz_nad@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/11 تاريخ القبول: 2022/02/18 تاريخ النشر: 2022/05/31

ملخص:

إن مفهوم التربية يتحدد بمعيارين أساسيين: المعيار الأول يمثل البعد التاريخي القيمي العقائدي والأخلاقي للأمة، أما المعيار الثاني، فهو معيار موضوعي تكنولوجي، وهو يمثل الخبرة المادية التقنية التي نعدّلها منتجين قادرين على إنتاجها وفقا للمستوى المطلوب في زمانهم. انطلاقا من هذا المفهوم، قامت هذه الدراسة لتصف الوضع الراهن للتربية في الجزائر على مستوى المعيار الأول. فالموضوع ينصب على دراسة الأخلاق في المنظومة التربوية، من خلال دراسة ميدانية استكشافية على طلبة الجامعة باستخدام مقياسين من بناء الباحثة في إطار فكر الغزالي أبي حامد، وهما: مقياسا الرذائل و الفضائل. أسفرت نتائج الدراسة عن تفشي الرذائل لدى الطلبة و غياب الفضائل وهذا يعني غياب الصحة النفسية، مما يدل على أن المنظومة التربوية تفرز إنسان المشكل والإنسان المريض، وليس إنسان الحل وإنسان التوحيد. كلمات مفتاحية: الفضائل، الرذائل، الغفلة.

Abstract:

Education is a concept determined by two norms; the first one is the historical dimension with the nation's values and beliefs, the second one is an objective and technological norm, and it consists in the material technical experience, which require producers to produce it, according to the required level at time.

On this basis, this study describes the Algerian educational system status quo at the level of the first norm. This topic focuses on studying ethics in educational system through a discovery field study on university students with the use of two measurements prepared by the researcher, in the course of Alghazali Abi Hamed's intellectuality, which are: vices and virtues measurements. The study results assert vices proliferation with student in the light of virtues absence, which means the absence of psychological health, which indicates that the Algerian educational system produces a man of complexity and a man of an instable belief not of solution and of Unitarianism.

Keywords: vices; virtues: omission..

المؤلف المرسل: جازولي نادية.

1. مقدمة:

إن التربية تعتمد على مدى قناعة أجيال الأمة بقيم الأمة الجماعية والعقائدية والأخلاقية، تلك القيم التي تبلور فيها شخصية الأمة وحياتها، وهذا يمثل البعد القيمي والعقائدي والأخلاقي للأمة، أما على مستوى الخبرة المادية التقنية والتكنولوجية، فتعتمد التربية على العملية التربوية الهادفة إلى خلق تفكير يصنع الحضارة وليس تفكيراً يستهلك الحضارة.

وإذا كان المرابي على مستوى المعيار الأول لا يأخذ ولا يستورد قيم وتاريخ الأمم الأخرى، فإنه في ضوء المعيار الثاني، لا بد أن يكون مطلعاً على ما يجري في العالم ليستفيد من الخبرات الأخرى، لا لاستيراد التكنولوجيا ولا لصنع تكنولوجيا مماثلة فحسب، ولكن لإنتاج تكنولوجيا أكثر تطوراً. (مدني عباسي، 1989: 36، 37).

وإذا رجعنا إلى الحضارة الغربية، وجدناها حققت النوعية الممتازة على مستوى المعيار الثاني، حيث استطاعت المنظومة التربوية الغربية أن تكون إنساناً

عملاقا في معرفته العلمية والتكنولوجية، لكنه قزما في خبرته النفسية وسلوكه الخلقي، ضعيفا في معتقداته، والسبب في ذلك راجع إلى أن الفكر الحديث يميل إلى الماديات أكثر منه إلى الروحيات، ويركز على الخبرات النفسية من حيث هي رغبات يجب أن تراعي فشبع، وميول فترضى، وأهواء فتطاع، وإن كان ذلك على حساب الأخلاق وقيمها، ولا يتفق مع الديانات وشرائعها، وليجد مبررا لذلك عوض الشرع بالعقل، فنأى باللائكية في التربية، والعقلانية للأخلاق، فانعكس ذلك على جيل من الإباحية والإلحاد، ولذلك تحققت النوعية التربوية في الماديات، لكنها غابت في الجوانب النفسية والروحية والخلقية، وذلك هو موطن الضعف عندهم. (مدني عباسي ، 1989: 141).

"لقد أصبح الإنسان كائنا أعلى "سوبرمان" ولكن هذا الإنسان الأعلى الذي يمتلك قوة تفوق قوة الإنسان، لم يرتفع إلى مستوى عقلائي، بل إنه يزداد فقرا بقدر ما يزداد قوة... وأحرى بضميرنا أن ينتابه القلق، ونحن نشهد أنفسنا تزداد تجردا من إنسانيتنا كلما ازدادنا اقترابا من حالة السوبرمان "الإنسان الأعلى" (إيريك فروم، 1989).

تلكم هي اعترافات إيريك فروم، وكذا الكثير من علماء الغرب، نذكر منهم الطبيب ألكسيس كاريل (Alexiss Karyl) في كتابه الإنسان ذلك المجهول، والطبيب الجراح ألبرت أشفيتسر (Albert Schweiter) في كتابه فلسفة الحضارة، والكاتب الإنجليزي سير لفنجيستون ريتشارد (Sir Richard Livingstone) في كتابيه: التربية لعالم حائر، والتربية والمستقبل وكذات رجال المدرسة الإنسانية في علم النفس. فهم يعترفون بكل موضوعية بفشل النظريات الغربية في تربية الإنسان الحديث.

ونظرا لشدة احتكاك أمتنا بأممهم، غزت أفكارهم منظومتنا التربوية، فأصبحت التربية تستورد قيم الأمم الغربية فانعكس ذلك على كافة مجالات

الحياة، حيث انحطت سلوكيات الناس إلى أدنى مستويات الرذيلة، ونتج عن ذلك جيل فاقد للقناعة بقيم الأمة وعقائدها وأخلاقها، جيل رافض أن ينتمي إلى أمته، جيل متناقض في أفكاره وقيمه وأخلاقه ومواقفه اتجاهاته.

هذا مع العلم أن الدين والأخلاق والمفاهيم والقيم هي العناصر التي تربط الإنسان بأمته وتحدد موقف الجيل من التاريخ ووظيفته الحضارية، وهذا ما يجعل الجيل الفاقد للقناعة فاقدا للتوافق النفسي والاجتماعي والحضاري، وهو ما يفصله عن أمته التاريخية الحضارية كما هو عليه الحال اليوم في البلاد الإسلامية، وما عليه الكثير من أبناء الأمة. (مدني عباسي، 1989: 109).

من هذا المنطلق، كانت هذه الدراسة، لتثبت أو تنفي هذا الوضع الراهن للتربية على مستوى المعيار الأول، من خلال دراسة وصفية لطلبة الجامعة.

2. الإشكالية:

إن موضوع الأخلاق يعتبر من أهم موضوعات علم النفس وعلم التربية، فالفضيلة تمثل صحة الروح، كما أكد على ذلك رواد الاتجاه الإنساني الحديث. (Mike. W. Martin, 2006 : 193) "فأهم ما يحتاج إليه الأفراد هو القوة والفضيلة والأصالة" (Mike. W. Martin, 2006 : 420).

إن الدراسات اليوم في الغرب، تتجه إلى البحث عن حقيقة الفضائل الإنسانية كالرضا والشجاعة والحكمة والعدل والصبر والإخلاص وغيرها، حيث ربط العلماء المحدثون الفضائل بالصحة النفسية، وجعلوا هدف التربية في القرن الحالي هو فهم وتعلم كيفية دفع هذه الفضائل في الأفراد صغار السن. (مارتن سليجمان، 2006: 431)، وركزوا على المشاعر الإيجابية عند تربية الطفل، باعتبار أنها تظهر أثناء عمليات النمو ونادوا بتنمية هذه المشاعر لدى الأبناء، لإثراء وتقوية مختلف جوانب السلوك عند الطفل سواء تمثل ذلك في علاقاته الاجتماعية أو نموه البدني والعقلي، بحيث تصبح هذه المشاعر بمثابة ذخيرة حياة

للطفل، فتتحول إلى عواطف إيجابية، وما هذه الأخيرة إلا فضائل تساعد الطفل على التوافق والتكيف مع الحياة، كما أكد على ذلك الكثير من علماء الغرب المحدثين. (مارتن سليجمان، 2002: 261).

ونظراً لأهمية الفضيلة في تربية الإنسان، بدأت تظهر سلسلة قوائم للفضيلة مع مكوناتها الفرعية مثل قائمة (مارتن سليجمان، 2003: 426)، وقائمة (روسو فرنانداز - بالاستيروس، 2003: 190-192)، وقائمة (دانييل ستوكولز، 2003: 456)، لكنها ما زالت تفتقر إلى تصور تكاملي منظوري بوصفه مفهوماً لفن الحياة، أو تصور لنظرية كلية، ذلك ما أكدته علماء الغرب أنفسهم (بول.ب. باتلس. ألكسندر.م. فرند، 2003: 37).

وإذا رجعنا إلى التراث الإسلامي وبالضبط إلى أبي حامد الغزالي، وجدنا في فكره نسقاً معرفياً منظماً، يطرح فيه نظرة كلية تكاملية وظيفية لمفهوم الرذائل والفضائل، وليس المجال في هذه الدراسة التطرق لهذه الخلقية النظرية، فذلك نخصص له بحثاً مستقلاً، فقط أرادت الباحثة أن تبين قوة فكر الغزالي في العصر الحديث.

تطرق الغزالي في مؤلفاته، خصوصاً الإحياء إلى الفضائل وربطها بالصحة النفسية، كما ميز بين ثلاثة أنواع من الفضائل وهي كالآتي:

- (1) فضائل منجيات: وحصرها في إحدى عشر فضيلة هي: التوبة، الصبر، الشكر، الخوف من الله، الرجاء في الله، التوكل والرضا، حب الله، النية والإخلاص، الصدق، المحاسبة والمراقبة، التفكير ونادى بضرورة التحلي بها لأنها تنجي صاحبها من الوقوع في مزالق الرذيلة وتسير به باتجاه الفطرة.
- (2) فضائل أمهات: وهي أربعة: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، وتعتبر محك وجود التوازن النفسي لأنها حالة وسط بين رذيلتين (إفراط وتفريط)، وتظهر هذه

الفضائل نتيجة لاستعمال عملية نفسية هي الضبط النفسي، أي نتيجة ضبط الشهوات والرغبات بالفضائل المنجيات.

(3) فضائل فرعية: وهي الفضائل التي تتفرع عن أمهات الفضائل والتي تمثل سمات الشخصية المتوازنة مثل حسن التدبير ونقاية الرأي وإصابة الظن بالنسبة لفضيلة الحكمة، والحياء والمسامحة والورع بالنسبة للعفة، والشهامة والحلم والوقار بالنسبة للشجاعة، وهذه الفروع في نهاية المطاف تمثل تدرج في سلم الصحة النفسية وغاية من غايات التربية الأخلاقية.

والملاحظ في الدراسات الغربية، أن العالم سليجمان درس النوع الثاني من الفضائل التي ذكرها الغزالي وهي أمهات الفضائل، فراح يبحث عن حقيقتها ويبني لها مقاييس علمية (سليجمان، 2002: 180-204) بكل عقلانية وبمعزل عن الدين، فتاه في جزئيات عن أصلها وخلفيتها النظرية والتاريخية.

تطرق الغزالي أيضا إلى الرذائل، وحللها تحليلا نفسيا تميز بها عن سابقه، وحصرتها في تسع رذائل هي: الغضب، العجب، الكبر، الغرور، البخل، الجاه، الرياء، الحسد، عيوب اللسان، شهوات البطن والفرج، وأطلق عليها مصطلح مهلكات، لأنها توقع صاحبها في قبضة الغرائز الحيوانية، فتعيد به عن الفطرة، واعتبرها أمراضا نفسية تحتاج إلى علاج.

كما تطرق في نصوص متفرقة للإحياء إلى الغفلة وربطها بالمرض. يقول في هذا الصدد: "أما القلوب الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإن المرض يطرقها لا للشهوات، بل لخلوها بالغفلة عن الذكر والتوحيد" (الغزالي، د.ت، ج، 32).

وتجدر الإشارة في هذا الصدد أن الغرب لم يول اهتماما كبيرا للرذائل، فلم تحظ هذه الأخيرة بالدراسة التحليلية الموضوعية مثل ما حظيت به الفضيلة، وهذا هو موطن الضعف عندهم، ومكمل عوامل التأزم الحضاري عندهم الذي

لم يجدوا له مخرجاً حيث أغفلوا عن خطورة هذه الرذائل، بل نجد بعض علمائهم من أباحها باعتبارها آليات دفاعية للتخفيف من الصراع النفسي (Sigmand Freud, 1967)، في حين أنها تعتبر أمراضاً نفسية كما أكد على ذلك الغزالي، بالإضافة إلى أنها تمثل مرحلة مرضية سابقة لأمراض العصاب والذهان (نادية جازولي، 2012).

وعموماً، نادى الغزالي بالتربية العلاجية التي تقوم على التخلية والتحلية. أما التخلية فهي للرذائل، وأما التحلية فهي للفضائل. ومن هذا المنطلق، جاءت هذه الدراسة لتخرج قائمة فضائل وقائمة رذائل من التراث القديم لأبي حامد الغزالي، وتُعطيها حق الدراسة العلمية وتستفيد منها في الواقع، وذلك من خلال دراسة ميدانية للتعرف على الوضع الراهن للتربية بالتطلع على مدى انتشار الرذائل والفضائل بين الطلبة ولذلك طرحنا سؤال الإشكالية كالآتي:

— ما مدى انتشار الرذائل والفضائل بين طلبة الجامعة؟

3. أهداف البحث:

1- التعرف على مدى انتشار الرذائل و الفضائل في المؤسسة التربوية.

2- التعرف على الوضع الراهن للتربية في المؤسسة التربوية

4. أهمية البحث:

يمكن تلخيص أهمية البحث في النقاط التالية:

1- يعتبر هذا البحث دراسة ابستمولوجية أي قائمة على نقد بعض مفاهيم الفضيلة عند الغرب مع تقديم البديل انطلاقاً من فكر الغزالي.

2- تناولنا موضوع التربية عند الغزالي بطريقة جديدة في إطار ما يسمى اليوم التربية العلاجية، وهو طرح جديد، لم يتطرق إليه باحث من قبل.

3- أخضعنا أفكار الغزالي في مجال التربية إلى دراسة ميدانية، وهذا ما لم تشهد أي دراسة، فكل الدراسات التي تناولت فكر الغزالي نظرية بحتة.

5. مفاهيم البحث:

1- الغفلة:

التعريف الاصطلاحي: هي خلو القلب عن القيم المرتبطة بالتوحيد، (أي الفضائل) فالغافل مريض، كافرا كان أو مشركا أو منافقا أو حتى مؤمنا ولو خلا القلب من الصفات المذمومة (الأخلاق السيئة)، وذلك بسبب ضعف الذكر أو التوحيد أو انعدامهما. فقيم الغافل لا ترقى إلى درجة الفضيلة، فلا هو حسن الخلق، ولا هو سيء الخلق.

- التعريف الإجرائي: الغفلة هي مجموع الدرجات التي تحصل عليها المفحوص في المقياسين من مجمل رذائله وفضائله، والمقدرة في هذه الدراسة بما هو أدنى من 55 درجة.

2- أمراض الرذائل وسوء الخلق:

التعريف الاصطلاحي: الرذائل هي الأخلاق السيئة، وهي أمراض القلوب وأقسام النفوس التي لا يشعر بها صاحبها غالبا، ويلخصها الغزالي في تسع رذائل أساسية (الغضب، العجب، الكبر، الغرور، البخل، الجاه والرياء، الحسد، عيوب اللسان، عيوب البطن)، تتفرع منها رذائل فرعية، ومجموعها يشكل سوء الخلق، وهو عبارة عن هيئة راسخة، تصدر عنها الأفعال السيئة بسهولة ويسر، وبغير حاجة إلى فكر وروية، وذلك بسبب عدم اعتدال قوى النفس الباطنية: القوى العقلية والقوى الشهوية والغضبية.

التعريف الإجرائي: سوء الخلق هو معدل الملمح (profil) الذي يتحصل عليه المفحوص من مجموع رذائله وفضائله، تبعا لمقياس الرذائل والفضائل والمقدر في هذه الدراسة بـ 55 درجة فما فوق.

3- حسن الخلق:

- التعريف الاصطلاحي:

حسن الخلق، هو عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الحسنة بسهولة ويسر بغير حاجة إلى فكر وروية.

فهو هيئة للنفس تميل بها إلى فعل الحسن، ويتيسر عليها فعل الحسن، بسبب توازن قوى النفس الباطنية. ففي الباطن أربعة أركان إذا اعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق، وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث، أي تحقيق التوازن. (الغزالي، دت، (د)، 47)

- التعريف الإجرائي:

حسن الخلق هو معدل الملمح الذي يتحصل عليه المفحوص من مجموع رذائله وفضائله تبعا لمقياسي الرذائل والفضائل والمقدر في هذه الدراسة بـ 55 درجة فما فوق.

6. الإجراءات الميدانية للبحث:

1- منهج البحث:

منهج البحث المتبع هو المنهج الوصفي الذي يعد بمثابة استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الواقع، بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينا وبين ظواهر أخرى. (عزیز حنا داوود وآخرون، 1999).

2- عينة البحث:

طريقة المعاينة المستخدمة هي نوع المعاينة القصدية وهي العينة التي يتم اختبارها بسهولة وإمكانية توفرها (ملحم سامي، 2000، 233)، عدد أفراد العينة المختارة هو 89 طالبا وطالبة من جامعات متفرقة (جامعة البليدة، وجامعة سيدي عبد الله والجامعة المركزية).

3- أدوات البحث:

جازولي نادية

أدوات البحث المستخدمة في هذه الدراسة هما مقياسا الرذائل والفضائل، التي تم بناؤهما من طرف الباحثة، انطلاقا من فكر الغزالي أبي حامد. يتكون مقياس الرذائل من 66 بندا، تمثلها 9 أبعاد أساسية هي: الفضب، العجب، الكبر، الغرور، البخل، الجاه والرياء، الحسد، عيوب اللسان، شهوتا البطن والفرج.

أما مقياس الفضائل فيتكون من 94 بندا، تمثلها إحدى عشر أبعادا أساسية هي: التوبة، الصبر، الشكر، الرجاء، الخوف من الله، حب الله، التوكل والرضا، النية والإخلاص، الصدق، المراقبة والمحاسبة، التفكر. تميزت اغلب الأبعاد بالنسبة للمقياسين بثبات عالي جدا، مما يدل على تناسق البنود وانسجاما. الهدف من مقياسي الرذائل والفضائل هو استخراج أصناف الحالات التالية: حسنو الخلق، سيئو الخلق، الغافلون. (نادية جازولي، 2012).

7. تحليل ومناقشة وتفسير النتائج:

(1) تحليل ومناقشة النتائج:

تم استخراج ثلاثة أصناف من الحالات:

الصنف الأول: حسن الخلق وعدده 9 حالات.

الصنف الثاني : سيئ الخلق وعدده 9 حالات

الصنف الثالث: الغافل وعدده 71 حالة.

ما نلاحظه أن عدد الحالات المرضية يغطي كل العينة تقريبا، فسيئ الخلق والغافل كلاهما حالات مرضية، وهذا يقدر عدد المرضى حسب هذه النتائج بـ 80 حالة. ويمثل مرض الغفلة نسبة كبيرة جدا من العينة المريضة، في حين أن عدد مرضى سوء الخلق يتساوى مع عدد حسن الخلق.

الأخلاق في المنظومة التربوية - الجزائر نموذجاً -

والجداول التالية تعطينا صورة واضحة لمدى انتشار الفضائل والرذائل بالنسبة لكل هذه الأصناف.

جدول خاص برذائل وفضائل حسني الخلق وسيئي الخلق.

سيء الخلق			حسن الخلق		
الرقم الحالة	الفضائل	الرذائل	الرقم الحالة	الفضائل	الرذائل
15	10	03	05	01	09
16	10	03	06	00	09
25	10	08	26	00	09
29	10	04	31	00	09
32	10	04	37	04	09
38	11	04	59	00	09
40	10	03	69	01	08
47	11	02	80	00	09
70	11	08	83	01	09

نلاحظ من خلال هذا الجدول مايلي:

- 1- كل الحالات تتوفر على عشرة فضائل ، فيما عدا ثلاثة حالات (38-47-70)، حيث تتوفر فيهم كل الفضائل (احدى عشرة فضيلة).
 - 2- كل الحالات لا تخلو من رذائل ، حتى الحالات التي تتوفر فيها كل الفضائل.
 - 3- تقارب عدد الفضائل بعدد الرذائل لدى بعض الحالات، مثلما هو الحال لدى الحالة رقم 70، حيث نلاحظ أن لديها احدي عشر فضيلة وثمانية رذائل وكذلك الحالة رقم 25، حيث نلاحظ أن لديها عشرة فضائل وثمانية رذائل .
- ما نستنتجه، من هذه القراءة الاحصائية ، هو عدم ثبات الفضيلة الذي يوقع صاحبه في مزلق الرذيلة . وهذا داخل في زلات وأخطاء الفضلاء الذين

جازولي نادية

لم تثبت لديهم الفضائل ثبوت رسوخ ، ولم تثبت أيضا لديهم الرذائل ، وإنما هي موجودة ولكن بمقادير ضعيفة، وجدوال المعاييرة هي التي كشفت عن وجود الثبات وعدم وجوده.

أما بالنسبة للحالات سيئة الخلق فنلاحظ ما يلي :

1- خمس حالات تخلو من الفضائل مع وجود كل الرذائل

2- ثلاث حالات لديها فضيلة واحدة

3- حالة واحدة (الحالة 37) لديها أربع فضائل مع وجود كل الرذائل.

ما نستنتجه من هذه القراءة الإحصائية هو ثبات الرذائل لدى الحالات التي تتوفر فيها كل الرذائل مع عدم وجود أي فضيلة أو وجود فضيلة واحدة فقط. وجداول المعاييرة كشفت عن ذلك . أما الحالة 37 فنجد أن وجود كل الرذائل لدى الحالة ، لم يمنع من وجود أربع فضائل، وهذا يدل على عدم ثبات الرذائل ومع ذلك صنفت الحالة ضمن سيئي الخلق، وذلك راجع لارتفاع درجات الرذائل التسع وقررها من الثبات، ذلك ما كشفت عنه جداول المعاييرة.

جدول خاص برذائل وفضائل الغافل

الغافل			الغافل			الغافل		
رقم الحالة	الفضائل	الرذائل	رقم الحالة	الفضائل	الرذائل	رقم الحالة	الفضائل	الرذائل
1	5	2	34	00	8	63	1	9
2	2	6	35	00	8	64	00	8
3	4	4	36	1	8	65	3	7
4	3	4	39	3	7	66	5	5
7	4	3	41	2	8	67	4	5
8	3	4	42	1	8	68	00	6
9	3	2	43	00	8	71	00	6
10	6	3	44	3	7	72	3	6

الأخلاق في المنظومة التربوية - الجزائر نموذجاً -

4	8	73	4	6	45	4	1	11
5	3	74	8	2	46	8	1	12
7	1	75	3	6	48	8	2	13
8	00	76	6	10	49	9	00	14
7	00	77	8	1	50	8	2	17
6	1	78	6	3	51	7	10	18
3	3	79	8	00	52	6	8	19
6	4	81	8	00	53	6	5	20
8	3	82	8	00	54	2	6	21
6	3	84	9	00	55	5	5	22
6	00	85	8	1	56	9	00	23
9	00	86	7	5	57	9	00	24
7	00	87	8	00	58	9	00	27
6	1	88	9	3	60	8	00	28
3	4	89	8	00	61	9	1	30
			8	00	62	9	2	33

يبين هذا الجدول عدد الرذائل وعدد الفضائل بالنسبة للغافلين ، ومنه

نستنتج أصناف الغافلين:

الصنف الأول: تتوفر فيه كل الرذائل أو أغلبها مع الغياب الكلي للفضائل، ويتمثل في الحالات: 14-23-24-27-28-34-35-43-52-53-54-55-58-61-62-64-68-71-76-77-85-86-87.

الصنف الثاني: تتوفر فيه كل الرذائل أو أغلبها مع وجود بعض الفضائل، ويتمثل في الحالات: 2-12-13-17-30-33-36-39-41-42-44-46-50-51-56-57-60-63-65-72-74-75-78-81-82-84-88.

الصنف الثالث: وتتوفر فيه أغلب الفضائل مع وجود بعض الرذائل، وتمثله الحالات: 18-19-48-49-73.

الصف الرابع : وتتوفر فيه بعض الرذائل مع بعض الفضائل بنسب متساوية على التقريب، وتمثله الحالات: 1-3-4-7-8-9-10-11-20-21-22-45-66-67-79-89.

يمثل الصف الأول والثاني الحالات الغافلة الأقرب إلى سوء الخلق ، أما الصف الثالث فيمثل الحالات الغافلة الأقرب إلى حسن الخلق، أما الصف الرابع فيمثل الحالات الغافلة التي هي بين بين، لا هي قريبة من حسن الخلق ومن سوء الخلق.

(2) تفسير نتائج البحث:

إن انتشار الغفلة بأصنافها المختلفة يدل على وجود قيم دخيلة وعلى عدم الالتزام بالتوحيد في مواقف الحياة، أي عدم الالتزام بالأخلاق المرتبطة بالشرع، فالغافل يكتفي - في أحسن أحواله - بالقيم التي لا تتجاوز حدود الواقع في مواجهة نوائب الدهر وعقباته، الأمر الذي يجعله يفتقد إلى مناعة فكرية مبنية على الشرع، مما يجعل قيمه في الحياة لا تصل إلى درجة التوحيد.

إن أصناف الغافلين المتواجدين في المؤسسة التربوية بنسبة عالية جدا كما أسفرت عن ذلك نتائج الدراسة لدليل على أن التربية صارت عبارة عن خليط من القيم انعكست على سلوكيات الطلبة، فصارت المؤسسة تجتمع فيها قيم مغايرة للعناصر المعيارية الإسلامية، وهذا يفضي إلى إنسان التناقض، إنسان المشكل، الإنسان الذي لم تحقق التربية له القناعة المعيارية. (مدني عباسي، 1989: 109).

إن الغفلة عنصر مهم وخطير، ولا يجب على المربين الاستهانة بها والتقليل من أهميتها وخطورتها.

أما سوء الخلق، فهو في نظر الغزالي - نتاج تراكمات رذائل كثيرة تظهر بسبب عدم اعتدال العقل وكمال حكمته، وكذا عدم اعتدال قوتي الغضب

والشهوة. وكل رذيلة تمثل مرضا معينا يحتاج إلى تربية علاجية خاصة به (فالأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والجنائب المبعدة عن جوار رب العالمين... وأسقام النفوس. (الغزالي، الإحياء، ج، 42).

ولسوء الخلق تدرج في الفطرة، حيث تنحصر مشاركته في أربع صفات:

1- الصفات الهيمية، وهي التي تغلب، ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكد مال اليتيم وجمع الحطام لأجل الشهوات.

2- ثم تتلو الصفة الهيمية والصفة السبعية، ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهميم على الناس بالضرب والشتيم والقتل واستهلاك الأموال.

3- الصفات الشيطانية، وهي محصلة اجتماع الصفة السبعية مع الهيمية، حيث يستعمل العقل في الخداع والمكر والحيلة...

4- الصفات الربوبية، مثل الكبر والفخر وحب المدح والثناء، وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على جميع الخلق، ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح، فبعضها في القلب خاصة، كالكفر والبدعة والنفاق... وبعضها على العين، وبعضها على اللسان، وبعضها على البطن والفرج، وبعضها على اليدين والرجلين، وبعضها على جميع البدن. (الغزالي، ج، 09)

فأصل مرض سيء الخلق، هو تراكمات رذائل نابعة من هذه المثار في العقل الباطن، تشكلت نتيجة رغبات وحاجات غير مشبعة، فكل رذيلة تحمل في طياتها رغبات كامنة، وهذه الرغبات تتراكم في العقل الباطن لتشكل مواد لرذائل مختلفة، فتظهر على شكل سلوكات، تختلف باختلاف الرذائل. ولذلك، ينصح الغزالي في العلاج بقمع مادة الرذيلة أولا، فالمرض لا ينقمع إلا بقمع المادة، فإن لم تنقمع المادة لا يحصل الشفاء، وإنما يكون مجرد تسكين وتطفئة مؤقتة ولا

يزال يعود إلى المرض مرة أخرى، ويشير الغزالي أيضا إلى أن الجهد في تسكين المرض يطول مع بقاء مواده، ويضرب لذلك مثلا فيقول: ((إنه ما دام المريض محبا للجاه، فلا بد أن يحسد من أستأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه، ويغمه ذلك لا محالة، وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه، ولا يظهره بلسانه ويده، فأما الخلو عنه رأسا، فلا يمكنه، إلا بقمع مادة الجاه)) (الغزالي، (ج)، 173).

وما دام سوء الخلق مرض لا شعوري قائم على الكبت (نادية جازولي، 2012، 210-216) ويحتاج إلى تربية علاجية في إطار ما أسماه الغزالي التخلية والتحلية، وكان علم النفس لا يطرح هذه المفاهيم (سوء الخلق والغفلة)، وكانت التربية لا تنطلق من هذه المفاهيم في تحقيق المعيار الأخلاقي العقائدي للامة، فهذا يعني غياب الأطباء والمعالجين، غياب العلماء الذين هم أطباء الأمة وقد أشار الغزالي إلى ذلك: " ((وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل: إحداها: أن المريض لا يدري أنه مريض، والثانية، أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن، فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد، وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم، فقلت النفرة عن الذنوب، وإن علمها مرتكبها، فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال، والثالثة: وهو الداء العضال: فقد الطبيب، حيث مرض الأطباء مرضا شديدا، عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض، حتى لا يظهر نقصانهم، فأضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضا، لأن الداء المهلك هو حب الدنيا، وقد غلب هذا الداء على الأطباء، فلم يقدرُوا على تحذير الخلق منه، ولذلك عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء (الغزالي، (د)، 45).

إن تفشي الرذائل في المؤسسة التربوية وغياب الفضائل يدل على عجز التربية وفشلها في تحقيق إنسان فاضل، من حيث ترتبط فضيلته بالتوحيد، لأن التربية الناجحة هي التي تفرز حسني الخلق، أما التربية الفاشلة فهي التي تفرز سيء الخلق والغافلين كما هو حال عينة البحث.

خاتمة :

إن الوضع الراهن للتربية انطلقاً من نتائج هذه الدراسة سلبية، فإذا كانت التربية على مستوى المعيار التكنولوجي متخلفة، فإنها على مستوى المعيار القيمي الأخلاقي ضعيفة، هذا بالرغم من قوة القيم الإسلامية الأصيلة نظراً لقوة مصدرها. فإذا كنا بصدد فضيلة التوكل، فالتوكل على الله، وكذا بالنسبة لسائر الفضائل، فالشكر لله، والصبر لله وهكذا ترتبط كل فضيلة بمحور واحد، وهذا على عكس الفضائل التي يطرحها علماء الغرب المحدثون، فهي نسبية وبالتالي لا تقبل التعميم، مما جعلها لا ترقى لأن تصبح مصدراً لنظرية علمية بالرغم من اجتهادات العلماء. فالمشكلة في الأمة الإسلامية تطرح ليس على مستوى القيم وإنما على مستوى الإنسان الضعيف لخلوه من قيمه الأصيلة، قيم القرآن والسنة، هذا الإنسان الذي وجدناه في طلبة متشبعين بقيم الغفلة التي لم ترق بهم إلى مستوى حسن الخلق، وطلبة متشبعين بقيم الرذيلة. فالمشكلة إذن ليست مشكلة قيم وإنما هي مشكلة إنسان ضعيف، إنسان مريض يحتاج إلى تربية علاجية تستأصل المرض وتثبت له قيمه الأصيلة. والغزالي أبو حامد قدم نموذجاً تربوياً علمياً في التخلية والتحلية أثبتنا في دراسة أخرى أن له قاعدة لنظرية علمية إسلامية لها منهج وموضوع وأهداف، فقط تحتاج إلى تطوير وإدخال وسائل العلم الحديثة فيها. (نادية جازولي، 2012).

في حين أن المشكلة التربوية عند الغرب، لا تطرح على مستوى القيم، فالإنسان الغربي يشكو ضعف قيمه، وعلماء الغرب اليوم يبحثون عن قيم

جازولي نادية

جديدة تنفذ أوروبا وأمريكا من الحالة الإنسانية التي وصلوا إليها بسبب هذا الضعف، ولقد اهتدى علماءهم إلى قيمنا كما هو حال سليجمان الذي درس ومازال يبحث فيما أسماه الغزالي أمهات الفضائل، لكنه درسها بمعزل عن خلفيتها التاريخية في حين أن الغزالي درسها بنظرة كلية حيث ربطها بفضائل منحيات وفضائل فرعية، وب عقل باطن يعمل وفق اليات شعورية ولاشعورية فكانت نظرته أعمق وأشمل وأقرب إلى المنهجية والعلم (نادية جازولي، 2012)

لذلك لم يعد مقبولا استمرار الغفلة وتجاوز المخزون القيمي والعقائدي والأخلاقي في فكر الأمة الإسلامية وعلاقته بتربيتها، فالحاجة اليوم ماسة إلى إخراج التربية في إطار المعيار الأخلاقي القيمي من الوعظ والنصيحة والارتجالية في البرامج، وإنما لابد من دراسة علمية تحليلية في هذا المجال، أي لا بد من جهد موضوعي علمي يحدد مفهوم القيم والأخلاق ويضع على أساسه برنامجا تربويا هادفا، خصوصا أن القيم في التصور الإسلامي ليست نسبية وليست مثالية وإنما هي ذات الوجود الفعلي أي هي في نظام أخلاقي ذي الوجود الموضوعي السابق للأفراد المتجاوز لإرادتهم لأنها نتاج للجهد الكلي للأمة ومن ثمة فهي لا تعالج إلا في إطار تاريخ الأمة كخبرة من خبراتها وخلاصة من قيمها واصطفاء لاختياراتها في بحثها عن الأفضل الذي يعبر عن إرادتها الخيرة وما تبذله من جهة وجهاد من أجل تحقيق الأفضل "(مدني عباسي، 1987، 102).

ولذلك فإن الأخلاق التي أسفرت عنها نتائج هذه الدراسة (أصناف الغافلين بنسبة عالية جدا وسيء الخلق تمثل جيلا أفرغ ذاتيته من قيم القرآن والسنة، وهذا يعكس بوضوح الوضع الراهن للتربية على مستوى المعيار الأول).
اقتراحات وتوصيات:

انطلاقا من النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، تختتم الباحثة هذه الدراسة، بمجموعة من الاقتراحات عسى أن تساهم في إيجاد حلول علمية و عملية تدفع التربية في إطار المعيار القيمي والأخلاقي خطوات إلى الأمام وهي:

1- إدخال المفاهيم الموجودة في فكر الغزالي فيما يخص التربية العلاجية في قاموس التربية الحديث (الفضائل الرذائل، التخلية، الغفلة، سوء الخلق، حسن الخلق).

2- بناء مراكز خاصة فيها مختصون يتولون تربية أصناف الغافلين وسيء الخلق لأنهم من ذوي الاحتياجات الخاصة خصوصا وأنهم لا يشعرون بالمرض فينبغي ألا يترك سيء الأخلاق طليقا يبت الرذائل في الآخرين ويبعث فسادا في الأرض فالمجتمع مسؤول عن أعضائه والواجب عليه أن يصون حياته، وإلى هذه أشار الغزالي. ومرض القلوب أكثر من مرض الأبدان، والعلماء أطباء، والسلطين قوام دار المرض، فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطات ليكف شره، كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتفي أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيد ليقيده بالسلاسل والأغلال، ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس...)) (الغزالي، (ج)، 45).

3- النظر إلى سيء الخلق نظرة إشفاق، لا نظرة غضب وتأنيب ولوم لأن ذلك يجر

عليه أسوأ النتائج وأفدح العواقب، فهو يكافح في معركة لا طاقة له بها، وهذه الأساليب تسلمه إلى اليأس، فهو مريض يحتاج إلى مساعدة وعلاج، لا إلى وعظ وإرشاد وتأنيب... فسوء الخلق، لا يحبه صاحبه، ولا يستطيع اتقاءه، ولا يعرف له سببا، فهو في حالة لا وعي، لأنه مدفوع إلى الرذيلة دفعا لا إرادة له فيها. فصاحب الرذيلة مغموم ومهموم، والههم يجسد توتر الشخصية داخليا. لقد كان أول الأمر مختارا للرذيلة، ولكنه اليوم أصبح مدفوعا إليها، فالمتهور اختار الغضب،

جازولي نادية

والكذاب اختار الكذب، فقد كانت هذه التجارب عواطف متقبلة، قبل أن تصبح عقدا مكبوتة. لذلك فواجب التربية العلاجية هو علاجهم عاجلا لا عاقبهم.

4- دعوة إلى المختصين في التربية إلى التركيز على برنامج تربوي عملي وقائي ينمي الفضائل في نفس الطفل- وهو ما يزال على فطرته ويحميه من الوقوع في الرذائل، لتتشكل لديه مناعة فكرية تقيه من الرذيلة و الغفلة، وترقى به إلى مدارج حسن الخلق.

5- توسيع نطاق البحث فيما يخص المعيار الخلقي بالرجوع إلى الكتاب والسنة واجتهاد العلماء المسلمين في هذا المجال. فالغزالي ركز على الفضائل و الرذائل، والحاجة إلى وضع قوائم تفصيلية لهذه الفضائل والرذائل قائمة، خصوصا وأن المخزن الثقافي القيمي غني في هذا المجال.

6- توسيع نطاق البحث فيما يخص أصناف الغفلة وقيام تربية علاجية جديدة تستوعب كل هذه الأصناف لتغير موقفهم من القيم ، وتثبت فيهم فضائل أمتهم.

المصادر والمراجع :

- 1- اشفيتسر ألبرت، فلسفة الحضارة ، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الأندلس، بيروت ، لبنان 1983

- 2- بول ب باتلس، ألكسندرام . فروند، القوى الإنسانية باعتبارها التناغم بين الحكمة والإختيار الأمثل مع التعويض ترجمة صفاء الأعسر في: ليزاج. أسبينول، أورسولا م. ستودينجر (تحرير) سيكولوجية القوى الإنسانية ، ترجمة ومراجعة: صفاء يوسف الأعسر وآخرون، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006
- 3- جازولي نادية ، الصحة النفسية عند أبي حامد الغزالي وسيجمون فرويد أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية ، جامعة الجزائر 2012، 2
- 4- دانييل ستوكولز، إيكولوجية القوى الإنسانية، ترجمة علاء الدين كفاي ، في ليزاج أسبينول. أورسولام. ستودينجر (تحرير) سيكولوجية القوى الإنسانية ، ترجمة و مراجعة صفاء يوسف الأعسر وآخرون ، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.
- 5- داوود عزيز حنا وآخرون ، مناهج البحث في العلوم السلوكية ، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1991
- 6- سليجمان مارتن، السعادة الحقيقية، ترجمة صفاء الأعسر وآخرون، ط1، دار العين للنشر، القاهرة 2002
- 7- سليجمان مارتن، علم النفس الإكلينيكي الإيجابي، ترجمة عزيزة السيد، في: ليزاج. أسبينولا، أورسولام. ستودينجر (تحرير): سيكولوجية القوى الإنسانية ، ترجمة ومراجعة صفاء يوسف الأعسر وآخرون، ط، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، 2006
- 8- عباسي مدني ، النوعية التربوية في المراحل التعليمية في البلاد الإسلامية ، ط1، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، 1989
- 9- الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين تحقيق الإمام العراقي الجزء الثالث (ج) ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، دمشق (د.ت)

- 10- الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين تحقيق الإمام العراقي الجزء الرابع (د) ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، دمشق (د.ت)
- 11- فروم إريك ، الإنسان بين المظهر والمخبر ، ترجمة سعد زهران ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989
- 12- لفنجستون سيرريتشارد ، التربية لعالم حائر ، ترجمة وديع ضبع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1948
- 13- ليزاج.أسينولا، أورشولام.ستوديني، بعض القضايا الرئيسية في مجال سيكولوجية القوى الإنسانية ، ترجمة صفاء الأعسر، في:ليزاج.أسينوول، أورشولام.ستودينجر (تحرير) سيكولوجية القوى الإنسانية ، ترجمة ومراجعة صفاء يوسف الأعسر وآخرون ، ط، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة. 2006
- 14- ملحم سامي محمد ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس دار المسيرة ، عمان ، 2000
- 15- Freud Sigmund, mois et monotheisme, traduit de l'allemand par Anne berman , gallimard , france, 1967
- 16- Mike w.martin.from morality to metal health :virtue and vice in therapeutic culture,oxfrde university press.2006